

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

@ 65 @ وقتل من الطائفتين جماعة وقصد الباقون أذربيجان وانحاز الذين بخراسان إلى جبل قريب من خوارزم فجرد السلطان محمود جيشا وأرسله في طلبهم فتتبعوهم في تلك المفاوز مقدار سنتين ثم قصدهم محمود بنفسه ولم يزل في أثرهم حتى شردهم وشتتهم .

ثم توفي محمود عقيب ذلك في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وقام بالأمر بعده ولده مسعود فاحتاج إلى الاستظهار بالجيش فكتب إلى الطائفة التي بأذربيجان لتتوجه إليه فجاءه منهم ألف فارس فاستخدمهم ومضى بهم إلى خراسان فسألوهم في أمر الباقين الذين شتتهم والده محمود فراسلهم وشرط عليهم لزوم الطاعة فأجابوه إلى ذلك وأمنهم وحضروا إليه ورتبهم على ما كان والده قد رتبهم أولا ثم دخل مسعود بلاد الهند لاضطراب أحوالها عليه فخلت لهم البلاد وعادوا إلى الفساد وبالجملة فإن الشرح في هذا يطول .

وجرى هذا كله والسلطان طغرل بك المذكور وأخوه داود ليسا معهم بل كانا في موضعهم من نواحي ما وراء النهر وجرت بينهما وبين ملكشاه صاحب بخارى وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من أصحابهما ودعت حاجتهما إلى اللحاق بأصحابهما الذين بخراسان فكاتبوا مسعودا وسألوهم الأمان والاستخدام فحبس الرسل وجرد جيوشا لمواقعة من بخراسان منهم فكانت مقتلة عظيمة ثم إنهم اعتذروا إلى مسعود وبذلوا له الطاعة وضمنوا له أخذ خوارزم من صاحبها فطيب قلوبهم وأفرج عن الرسل الواصلين من جهة ما وراء النهر وسألوهم أن يفرج عن زعيمهم الذي اعتقله أبوه محمود في أول الأمر فأجابهم إلى سؤالهم وأنزله من تلك القلعة وحمل إلى بلخ مقيدا فاستأذن مسعودا في مراسلة ابني أخيه طغرل بك وداود المقدم ذكرهما فأذن له فراسلهما .

وحاصل الأمر أنهما وصلا إلى خراسان ومعهما أيضا جيش كبير فاجتمع الجميع وجرت لهم مع ولاية خراسان ونواب مسعود في البلاد أسباب يطول شرحها .

وخلاصة الأمر أنهم استظهروا عليهم وطفروا بهم وأول شيء ملكوه من البلاد طوس وقيل الري وكان تملكهم في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم